

هيرمونطبيقات أدبية

ورد في معلقة امرئ القيس:

" وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرخى سُدُولَهُ ... عليَّ بأنواعِ الهمومِ ليلتي "

والكلمات هي: (كـ) حرف جر، و(مَوْجِ) اسم مجرور، وتعني أن الليل يشبه موج البحر، وقد تقدم رجلا إلى الإمام الإشبيلي ليسأله سؤالاً لا يُسأل عنه إلا من ينم عن غير معرفة، عن معنى "الكموج" (طنناً) أنها كلمة واحدة)، فأجابه الإشبيلي ساخراً: "الكموج دابة تقرأ ولا تفهم.

المعنى المقصود: يُضرب هذا القول مثلاً على من يقرأ النصوص دون أن يفقه معناها، أو من يتصدر للحديث دون علم.

ومن هذا الباب: رب كلمة قالت لصاحبها دعني، وأيضاً: " لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدلاء فيها".

بائك تجر وبائي لا تجر

طرفة نحوية شهيرة تستخدم حالياً كـكناية عن الكيل بمكيالين، أو الازدواجية في المعايير، أو المحاباة. وأن العدالة تقتضي ألا يكون هنالك باء أفضل من أخرى، إذا كانت وظيفتهما اللغوية واحدة. قد يكون هذا الاعتراض وجيهاً لو طرحه شخصٌ يُدركُ ما يقول ولم يُخالفْ اعتراضه قواعد اللغة.

تعود جذور هذه القصة الطريفة بين نحوي ورجل عامي، حيث استنكر الأخير تطبيق قواعد النحو على كلامه دون غيره، لتصيح مثلاً يُضرب عند غياب العدالة والمساواة.

وأصل القصة:

سأل نحويٌ رجلاً عن حمار أبيه، فقال: "ما فعل أبوك بحماره؟" بجر كلمة حمار

أجاب الرجل: "باءهـ" بكسر العين والهاء

قال النحوي: قل "باءهـ" بفتح العين

قال الرجل: فلم قلتَ "بحمارهـ" بالجر

قال لأن الباء تجر، والباء في كلمتك من أصل الكلمة.

رد الرجل: " فمن جعل باءك تجر وبائي لا تجر؟

موعظة مجنون ليلي

القصة الشهيرة التي تذكر مرور شخص على أناس يصلون دون أن يشاهدَهم وهي قصة منسوبة للشاعر العذري قيس بن الملوح " مجنون ليلي".

وتفاصيل القصة: يروى أن قيس بن الملوح كان يتبع كلب ليلي العامرية أملاً في أن يدلّه على مكانها، وفي طريقه مر على جماعة من الناس كانوا يصلون، فلم يلحظهم ولم يقف معهم لشدة شغفه وذهوله بليلى.

وجرى هذا الحوا بينه وبينهم:

المصلون: عندما عاد قيس في الطريق، نادوه وقالوا: " أتمر علينا ونحن نصلي ولا تصلي معنا؟! ".

قيس بن الملوح: " واٍ ما رأيتمكم! وواٍ لو كنتم تحبون اٍ كما أحب ليلي لما رأيتموني!".

الهدف من القصة:

تُروى هذه القصة كنوع من الموعظة لبيان حقيقة الخشوع، حيث قارن قيس بين شدة تركيزه (حبه ليلي) الذي أنساه كل شيء، وبين خشوع المصلين الذي يفترض أن يكون أشد، حيث قال: " كنتم بين يدي اٍ ورأيتموني، وأنا بين يدي كلها ولم أراكم".

الواعظ قدوة

قال عليّ عليه السلام: من نصّب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه.

وقيل: مؤدّب نفسه ومعلمها أحق بالإجلال من مؤدّب الناس ومعلمهم. وفيها تأكيد على القدوة: يُشَدِّدُ هذا القول على أن زلة العالم أو القائد عظيمة، وأن العمل بغير علم، يُفْسِدُ أكثر مما يُصْلِحُ.

كما تدعو هذه الحكمة إلى ضرورة إصلاح القائد أو الواعظ لنفسه أولاً ، وأن يكون قدوة بأفعاله وسيرته قبل أن يوجه وينصح بلسانه .

وأنشدوا ، وقيل هي لأبي الأسود الدؤلي وقيل هي للمتوكل بن عبد الله الليثي:

يا أيُّها الرَّجُلُ المَعْلَمُ غيره ... هَلَّا لِنَفْسِكَ كان ذا التَّعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضُّنى ... كيما يَصِحَّ به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا ... أبداً وأنت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانها عن غيِّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فَهنالك يَقْبَلُ ما تَقُولُ ويَهْتَدِي ... بالقول منك وينفع التَّعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

ونختم بهذه الحكاية الطريفة لذات العلاقة:

نظر رجل إلى امرأته وهي صاعدة في السلم، فقال لها:
أنت طالق إن سعدت، وطالق إن نزلت، وطالق إن وقفت، فرمت نفسها إلى الأرض، فقال لها: فذاك أبي وأمي
إن مات الإمام مالك أحتاج إليك أهل المدينة في أحكامهم.

المخبر لا المظهر

قصة الأعمى والأعرابي مثالاً لذلك:

يقول الأعمى أنه ذات يوم توجه إلى مأدبة مليئة بأصناف كثيرة من الأطعمة، وإذ بأعرابي آتٍ من بعيد، كي يجلس على هذه المائدة من غير دعوة، وأثناء تفحصه للطعام، مدَّ يده لالتقاط " السمن "، وأثناء رفعه له، سال السمن من بين أصابعه وامتزج مع الغبار الذي كان يملأ يديه أيضاً، فانتبه الأعمى لما حصل، وأراد إضحاك القوم الجالسين عليه فقال:

كأنك أثلة في أرض هشة ...أناها وابلٌ من بعد رش.

فالتفت الأعرابي إليه وعيناه موقدةً بالاحمرار، فردَّ قائلاً:

كأنك بعرة في إست كبش ... مدلاة وذاك الكبش يمشي

فتعالت ضحكات الجالسين على الأعمى حتى انخرج، فردَّ على الإعرابي متسائلاً: "كأنك تجيد الشعر؟"،

فردّ عليه الأعرابيُّ قائلاً: "كيف لا أجيده وأنا أبوه وأمه"، فردّ الأصمعي: "عندي قافية تريد عطاءً
فَغُصِّتُ في بحار العربية فما وجدت أصعب من قافية من الواو الساكنة"، ثم بدأ الأصمعي بسرد البيت
الآتي:

قومٌ بنجدٍ عهدناهم ... سقاهاهم من النـو

ثم سأل الأعرابي: "أتدري ما النـو يا أعرابي؟"، فردّ الأعرابي قائلاً:

نوٌ تلاً في دجى ليلةٍ ... حـالكةٍ مظلمةٌ لو

فعلّق الأصمعي: "لو ماذا؟"، فجاوب الأعرابي:

لو سار فيها راكب لانثني ... على بساط الأرض منطو

فعلّق الأصمعي: "منطو ماذا؟"، فجاوب الأعرابي:

منطو الكشح هضيم الحشا ... كالبار ينقض من الجو

فحاول الأصمعي تصعيب الأمر بأسئلته فعاود الأعرابي الجواب:

جو السما والريح تعلو به ... اشم ريح الأرض فاعلو

عاود الأصمعي السؤال: أعلو ماذا؟"، فردّ قائلاً:

فاعلو لما عيل من صبره ... فصار نحو القوم ينعو

فعاود الأصمعي السؤال، وقال "ينعو" ماذا، فقال الأعرابي:

ينعو رجالاً للقنا شرعت ... كفيت بما لاقوا ويلقوا

فقال الأصمعي " يلقوا " ماذا ، فقالا الأعرابي:

إن كنت لا تفهم ما قلته ... فأنت عندي رجل بو

فقال الأصمعي " بو " ماذا ، قال الأعرابي:

البو سلخ قد حشي جلده ... بأطلف قرنين تقيم أو

فقال الأصمعي " أو " ماذا ، قال الأعرابي:

أو أضرب الرأس بصوانة ... تقول في ضربتها قو

ثم صمت الأصمعي خوفًا من أن يسأل " قو " ماذا؟، فيضربه الأعرابي بالصحن. وفي روايةٍ أخرى يقال إنه
سأل الأعرابي " قو ماذا؟ "، فردَّ الأعرابي قائلاً:

القو في الرأس له نفخة ... يبين من أثارها الضو

لذا سكت الأصمعي؛ كي لا يضربه الأعرابي، لكن الأصمعي انتبه لبلاغة الأعرابي في الشعر، فدعاه إلى منزله
وكانت زوجة الأصمعي قد ذبحت دجاجة، وكانت العادة وقتها أن يُقدِّم الطعام للضيف كي يقسِّمه بين
الجميع. باشر الأعرابي بالتقسيم فقال: "الرأس للرأس، فأعطاه إلى الأصمعي، والرقبة للعتبة، فأعطاه
للزوجة، والفخذين للولدين، والجناحين للبننتين، أما الباقي للضيف، وهنا شعر الأصمعي بالحرص، فطلب
من زوجته ذبح خمس دجاجات في اليوم التالي، ثم طلب من الأعرابي التقسيم مرة أخرى. فخيرَّ الأصمعي
وسأله: " تريد شفعًا أم وترًا "، فردَّ الأصمعي أنه يريد الوتر، فردَّ الأعرابي: " أنت وزوجتك لكم
دجاجة، وابنتيك دجاجة، وولديك دجاجة، فردَّ الأصمعي قائلاً "أريد شفعًا أقيلك، وا قبل بعد الإقالة".
قيلَ الأعرابي، فردَّ قائلاً "أنت وابنيك ودجاجة أربع وزوجتك وبنتيها ودجاجة وأنا وثلاث دجاجات،
ولا أقبل إلا هذه القسمة" ثم أخذ الثلاث دجاجات وذهب.

وقال الشاعر كثير عزة وقيل للعباس بن مرداس في هذا المعنى:

ترى الرَّجُلَ النحيفَ فتزدريه ... وفي أثوابه أسدٌ هصورٌ

ويُعْجِبُكَ الطَّارِيرُ إِذَا تَرَاهُ ... فَيُخَلِّفُ طَائِفَةَ الرَّجُلِ الطَّارِيرُ

وما أجمل أن ديننا الحنيف حيث دعا إلى الجمع بين حسن المظهر وحسن المخبر.